

ملخص البحث

تسعى هذه الورقة البحثية إلى الحديث عن الشعر الشعبي، ودوره في تسجيل أحداث المقاومة والثورة الجزائرية، وذلك من خلال تتبع حركة الشعر الشعبي، وينطلق البحث من التعريف بهذا اللون من الأدب الشعبي، وتتبع تسمياته في مختلف المناطق والأقطار، وبعدها التطرق إلى أسباب اختياري للبحث في هذا الموضوع الذاتيه منها والموضوعية، لننتقل إلى الحديث عن الشعر الشعبي وتأريخه للأحداث بدءًا من المقاومات الشعبية وانتهاءً بالثورة التحريرية، والتطرق بعدها إلى الموضوعات التي تناولتها القصيدة المختارة للدراسة في هذا المقال حول صدى الثورة في جبال القعدة بأفلو.

الكلمات المتاحية: الشعر الشعبي، المقاومة ، صدى الثورة، دور الشعر في تأريخ الأحداث، جبال القعدة.

ABSTRACT:

This study investigates the role of popular poetry as a vehicle for preserving collective memory and documenting pivotal moments in Algerian history, with particular emphasis on resistance movements and the national liberation struggle. The research begins by defining this oral literary form and examining the variety of designations it assumes across different regions and cultural contexts. It then articulates both the subjective and objective motivations behind the choice of this topic, before turning to an exploration of how popular poetry functioned as a chronicle of historical events—ranging from early uprisings to the War of Independence. The analysis culminates in a close reading of a selected poem that captures the resonance of the revolution in the “Gaada” Mountains of Aflou, highlighting the interplay between oral tradition, collective identity, and the poetics of resistance.

Keywords: Popular poetry, resistance, revolution echo, poetry role in chronicling events, Gaada mountains

1. مقدمة:

واكب الشعر الشعبي أو الشعر الملحون الثورة التحريرية وقبلها المقاومات الشعبية المختلفة من مقاومة الأمير عبد القادر إلى آخر مقاومة خاضها الجزائريون أثناء الثورة المباركة مروراً بمقاومات أحمد باي، المقراني الزعاطشة بن ناصر بن شهرة، الشريف بوشوشة وبوعمامة وغيرهم، وساهم مساهمة كبيرة في الحفاظ على تاريخ هذه المقاومات وتدوين أحداثها والاحتفاظ بها في الذاكرة الجمعية للشعب الجزائري على مر العصور.

فكيف كان الأمر بالنسبة إلى معارك جبال القعدة بأفلو؟ ومن ساهم في هذا؟ ذلك ما تحاول هذه الورقة البحثية الإجابة عنه وبيان إسهام أحد شعراء المنطقة في تسجيل أحداث المعارك والانتصارات التي حازتها الثورة المباركة في تلك المنطقة من الوطن.

2. الشعر الشعبي:

1.2. التسميات:

اختلفت تسميات الشعر الشعبي وتباينت وتعددت من قطر عربي إلى آخر، ففي عند البعض تسمى "الشعر الملحون"، وعند آخرين تسمى "الموال"، وفي تسمية ثالثة يطلق عليه "الحميسي" وفي مصطلح رابع يال له "الزجل" وفي آخر يعرف بـ: "العتابا"، أما الثاني فكان خاصاً بإيقاظ الناس للسَّحور في شهر رمضان، والنوع الثالث كان يستخدم في مناسبات الحزن والمآتم، وأول ما استخدم في البكاء والنَّحيب على النكبة التي حلت بالبرامكة في العصر العباسي.

ولقد انتشرت تسميات متعددة لهذا اللون من الأدب واختلف الدارسون في تحديد ماذا يتناول هذا الأدب في موضوعاته الفرعية، فقد يمكن أن نسميه الأدب الشعبي أو الأدب الشفاهي أو الفن اللفظي أو الأدب التعبيري إلى غير ذلك من التسميات. (العشماوي، 2021)

واستمرت التسميات لهذا اللون من الشعر حتى استقرَّ على تسمية في العصر الحديث تكاد تعرف إجماعاً وهو "القصيدة الشعبية"، وذلك تحقيقاً للتَّوجُّه العام والانتماء الواحد الذي ينبغي أن يسود في المجتمع العربي (دحو)

وقد تناول الموضوع عديد الباحثين من مختلف الأقطار العربية و فصلوا في جزئياته، وتحدَّثوا عن جذوره وأصوله وإرهاصاته وبداياته، ومن أولئك الدكتور حسين نصار الذي يذهب إلى أن هذا اللون من الشعر لا وجود له ولا أثر في العصور المتقدمة من الأدب العربي، مع أن هذا الاسم كما يرى عربي مؤلَّف من ألفاظ عربية خالصة، ولكن العرب لم تقل فيه من العصر الجاهلي ولا من صدر الإسلام ولا في

العصر الأموى أو العباسى، وإنما هذا الشعر ابتكرناه كما يرى نحن عرب العصر الحديث. (نصارى، 1400هـ/1980م)

وذهب آخرون عكس ما ذهب إليه حسين نصار، حيث رأوا أن الشعر الشعبى قديم الظهور فى الأدب العربى، ومن هؤلاء الدكتور عبد الله الركبى الذى يتحدث عن ظهور الشعر الشعبى فى الجزائر بقوله: «وبالنسبة للجزائر يمكن القول بأن الشعر غير المغرب جاء مع الفتح الإسلامى، ثم انتشر بصورة قوية واضحة بعد مجئ الهلاليين (460هـ/1047م) إلى الجزائر حاملين معهم لهجاتهم المتعددة، حيث تغلغلوا فى الأوساط الشعبىة، وساهموا فى تعريب الجزائر بصورة جلية، اعترف بها كثير من الدارسين، بحيث أصبح الأدب الشعبى منذ ذلك الوقت ثمرة من ثمار الثقافة العربىة.» (الركبى، 1981)

وبين هذا الرأى وذلك أعتقد أن الرأى الأول أقرب إلى الصواب إلى حد بعيد لاعتبار بسيط، وهو ما شهدته اللغة العربىة من انحطاط وتدهور أثناء الحكم التركى للبلاد العربىة وما تلاها من استعمار غربى بغرض جثم على صدر الأمة العربىة ردحا من الزمن، بليت به الشعوب العربىة من المحيط إلى الخليج.

2.2 أسباب اختيارى للموضوع:

تعود أسباب اختيارى للبحث فى هذا الموضوع إلى أسباب موضوعية وأخرى ذاتية، فمن الناحية الموضوعية فإن الشعر الشعبى كان له حضور قوى فى تدوين أحداث الثورة التحريرية المباركة، وتسجيل كثير من وقائعها التى أغفلها فى بعض الأحيان حتى المؤرخون، ورغم الصدى العالمى والعربى لهذه الثورة التى تحدث عنها شعراء العالم وشعراء العربىة من أمثال عمر أبورىشة، وسليمان العيسى و عبد المعطى حجازى وغيرهم كثير من مختلف الأقطار العربىة دون استثناء، إلا أن الشعر الشعبى هو الآخر كان له إسهام عظيم فى تدوين أحداث الثورة وإلهاب حماس الجزائريين للالتفاف حول ثورتهم ومساندتها ومباركتها، وشحن الهمم والنفوس، لأنه كان الأقرب إلى نفوس الجزائريين الباحثين عن الحرية والانعتاق، وهم الذين تفشت فيهم الأمية بسبب الاستعمار الغاشم الذى منعهم من تعلم لغتهم ودينهم وعمل على مسخ هويتهم وسلخهم عن ثوابتهم بكل الوسائل الممكنة التى يملكها.

أما الأسباب الذاتية فتتعلق بتذوقى للشعر الملحون وتعلقى به منذ الصغر، فقد استمعت إليه واستمتعت بجميل قصائده قبل أن أتعرف على الشعر الفصحى، وقد أطربت بإلقائه وجميل غنائه، فقد كان والدى -رحمه الله- يحفظ الكثير منه ويردده على مسامعنا فى مجالسنا العائلىة الخاصة، خاصة لفظاحل هذا اللون من الشعر من أمثال بن قيطون والشيخ السماتى ومحمد بلخير والمختار بلحمر وغيرهم كثير. ولا أنسى هنا شدة إعجابى ببعض القصائد الشعبىة التى أعتقد أنها تتفوق فى روعة ألفاظها وجودة سبكها وسبرها لأغوار النفس البشرىة على كثير من القصائد حتى من الشعر الفصحى.

3. الشعر الشعبي والتأريخ للأحداث:

1.3 أحداث المقاومة:

لعب الشعر الشعبي دورا بارزا في شتى مجالات الحياة، فعبّر عن الأهداف والوقائع بطريقة من طرائق التعبير، وصوّر هموم الجماهير الشعبيّة، وآلامها ومعاناتها، كما حثّها على مقاومة الاحتلال الفرنسي، والوقوف ضدّ أطماعه وأهدافه.

كما أنه واكب تطوّر المقاومة الوطنية، وصوّر الظروف التي عاشها الشعب الجزائري، وحين ظهرت الحركة الوطنية وتباينت وجهات نظرها قام الشعر الشعبي بالدعوة إلى توحيد القوى الوطنية، وجمع الكلمة من أجل التّهوض والتطوّر بالشعب الجزائري. باعتباره نشاطا إنسانيا يعكس ما يجري في بيئة الشاعر من أحداث ووقائع ومجريات، وبالرغم من تعبير الشاعر عن ذاتيته وعواطفه وهواجسه ومشاعره، إلا أنه يعبر أيضا عن قضايا الوطن واهتمامات المواطنين ويشاركهم آمالهم وآلامهم، ويهتم أشد الاهتمام بما يدور داخل مجتمعه من حركية وأحداث، ويقف منها موقف المؤرخ فينسج في شعره أحداث مجتمعه وما يمر به مواطنوه.

وبالعودة إلى بعض قصائد الشعر الشعبي أو "الملحون" كما هو معروف في بعض المناطق، نجد ثورات ومقاومات الشعب الجزائري ضد الوجود الاستدماري الفرنسي مؤرخة و مدوّنة ، وتناول فيها الشعراء بعض الجزئيات التي تبدو بسيطة وغير مهمة ولكنها تأريخ للأحداث كما جرت، لأن الشاعر الشعبي كان حاضرا وقائعا أو رويت له في وقتها فاحتفظت بها قصيدته. وجدير بالذكر هنا أن نورد ما كان يقوم به الفرنسيون تجاه هذا الشعر الشعبي، فقد «اهتمّ به العلماء الفرنسيون منذ الاحتلال لأنّه في نظرهم يعبر عن حقيقة الرّوح الجزائرية المقاومة لاحتلالهم. وقد حاربت السّلطة الفرنسية المدّاحين أو "القوالين"، وراقبت نشاطهم لأنهم كانوا نقلت هذا الشّعر ومروّجيه، وكان معظمهم من الشّعراء المرتجلين، وأخذ بعض الضبّاط المستعربين يحلّلون نصوص الشعر الشعبي الصّوفي لغموضه عندهم ولاحتوائه على رموز وتلميحات تاريخية وسياسية معادية للفرنسيين.» (الله، 2009)

والحقيقة أن النص الشعري الثوري له حضور في كل المراحل التي مرت بها المقاومة الشعبية الجزائرية» وعرفت ثوراته المختلفة هذه المقاومة، وهذه الثورات التي نجدها موزعة على أرجاء القطر، والتي لا نستطيع... حصرها وضبطها مهما حاولنا ذلك لانعدام المصادر التي تؤرّخ لها والوثائق التي تحفظها.» (دحو، بعض النماذج الوطنية في الشعر الشعبي الأوراسي خلال الثورة التحريرية، 1986م)

2.3 أحداث الثورة:

ومما يلاحظ ويلفت الانتباه في الشعر الشعبي الذي قيل أثناء الثورة التحريرية خاصّة، أن أغلب القصائد غير معروفة القائل، قد يعود ذلك كما يرى بعضهم إلى أن القائل إنسان بسيط ولم يكونوا

شعراء معروفين، وبعض القصائد قالها مجاهدون كانوا يحملون البندقية في الجبال ويقارعون المستدمر الغاشم ، وتَنَسِّمُ هذه القصائد بلغتها السهلة التي يمكن لأي جزائري في أي منطقة من الوطن أن يفهمها كلماتها ويتفاعل معها، بل قد يفهمها كل واحد في الوطن العربي إلا ما ندر منها، وكان مستغرقا في المحلية، أو كانت في القصيدة مفردات وألفاظ أجنبية لاعتبارات فنية شعرية. (دحو)

وعلى كل حال فإنّ الشعر الشعبي يمكننا من الاطلاع على كثير من الأحداث المصيرية التي شهدتها كثير من مناطق الوطن، والمعارك التي دارت بين جيش التحرير الوطني وقوات الاحتلال الفرنسية، وقد كانت بعض القصائد منه لشعراء مجاهدين يحملون السلاح والشعر لمحاربة فرنسا.

3.3. تسجيل الشعر الشعبي لأحداث ثورة القعدة:

القصيدة التي بين أيدينا والتي اخترتها نموذجا عن تناول الشعر الشعبي للثورة التحريرية، هي قصيدة موسومة بـ: "معركة القعدة" لشاعر من شعراء المنطقة، وهو شاعر معروف وطنيا، وخاصة في الغرب الجزائري إنه الشاعر المرحوم الحاج سليمان عيسات المعروف بـ: "سليمان بلعسكري" ينتمي إلى عرش أولاد سيدي الناصر بن عبد الرحمن المعروف بـ "سلطان" "مازونة"، ومن المعروف « أن الشعراء كانوا بمثابة مؤرخي تلك الحقبة بسبب غياب التأريخ الرسمي للمجتمع الجزائري نظرا لظروف الاحتلال. » (بورايو، 2007م)، وهذا ما فعله شاعرنا في هذه القصيدة التي تؤرّخ لأحداث شهدتها جبال "القعدة" بمنطقة آفلو أثناء ثورة التحرير المباركة.

والقصيدة المقصودة بالدراسة تتألف من أربعة وثمانين (84) بيتا، يستهلها الشاعر بأبيات حكمة يقول فيها:

أَصْدَقُّ وَاصْفَى وَكُونْ مَوْلَى سُرِيرَةٍ *** مَا كَانَتْ كِي اسْكَاتْ حَكْمَةً لِلْعَاقِلِ

ماكانش كي اسكات للعاقل سُرّة *** لَلْمَرْوَالِي لَبِيقْ سَيَّسْ يَسْتَمْتَلِ

ما جاتش بارقاد ولا بالهْدْرَة *** قَوْمُ اخْدَمْ كِي الرّجال تَسْمَى راجل

ثم يشرع شاعرنا في مدح أبطال ثورة التحرير والإشادة بخصائلهم من شجاعة و جود وصبر، فيقول:

شوف اهل الجود ولخصايل صَبَّارَة *** الجزاير شائعة بقول وفعل

شوف اهل الخَصَلات فرسان الثّورة *** رجال الجود واشنا كي تتقابل

لَبْطال الشّائعين نَقْمَة لَلْكَفْرَة *** اعدوهم وَرْدُوهُ من كاس الحنظل

أهل لخصلات ما ارضاوش بالحقرة *** أبطال سَجَّاع ما ارضاوش حكم النذل

ويعود بعد ذلك للحديث عما أصاب الأعداء من ذهول، وما تكبدوه من خسائر فى معركة الجزائر
برغم الدعم اللامحدود من الحلف الأطلسي والوجود العسكري لجنود من مختلف الجنسيات أو ما
كان يعرف بـ: "الليف الأجنبي" وعن ذلك يقول الشاعر:

عديان الإسلام راهم فى حورة *** خلجوههم لبطلان وراي تخبل
عندهم كل يوم مليار خسارة *** قوة لجناس عمرت صحرا واتل
كذا من ألف شارطنك وطيارة *** الناز الكحلة شاعلة فى كل اجبل

ليدخل إلى صلب الموضوع وهو الحديث عن الثورة فى جبال "القعدة" وما فعله المجاهدون الأبطال
بالعدو الفرنسي فى المعارك التى شهدتها جبال القعدة، وما حشدته فرنسا من جند وعتاد كبير كما يعطى
تفاصيل عن عدد جنود المظليين الفرنسيين ومدة الحصار ومُخبراً عن وقت بداية المعركة وتاريخها ولا
يغفل حتى عن أنواع أسلحة الطرفين، يقول عنهم الشاعر:

اسيادي فايزين خصلة وشطارة *** يدحم كي يعود نير انه تشعل
وشاعو للشرق والغرب وظهرا *** وينذا تبغي النصار للقعدة قبل
لبطل الشايعين رجال الصحرا *** لبطل أهل اجهاذ نقمة للجاهل
من كل بلاد جات جردان نصارى *** انصرتنا يالله والعنهم واخذل
"القعدة" فيها ابطل سجاع انمورة *** لبطل أهل اجهاذ فالكفرتقاتل
امسركة على ليمين ويسارى *** والجند اللي يقدموه لهما يكمل
من كل بلاد جات عسكر "ليبارة" (المظليين) ***** عشر الاف بغات "للقعدة" تدخل
مدة عشرين يوم سكنوها براً **** والطيارات فلغساكر اتحوّل

.....

الطيارة شحال الكحلة والصفرا *** فى وين ما تشوف تلقى جند نحل
.... قبل الفجر بداو فى وقت البكرا *** فى المعركات جيش لبطلان ايطول
شدو جيش اروم لوقت العشرة *** اتخدو وفناو احيدهم فلبحر اسفل
استخبر قوم لمهود فيهم واش اصرا *** اتخدو قوم لعدو الجيرال اهبل
شاف اطيارة واشار ارجع غبرة *** الجندي شد فيه قبل اما يوصل

لَطْنَاكَ ايشْدْ ولهم فالتشوفارة *** ضربة فالراس جا الحلو فامكسل
اسيادي امسلحين بالماط وقارة *** ماذا قتلوا شحال واسعاو مكاحل
ولاؤيقتلو بخدمي واشفرة *** اسيادي متعاندين شاعو بخصايل
هربت قوة من لعساكر تجاري *** اتالي موحال ما لحقش على لول
هربت قوة من لعساكر مذعورة *** النص افنى ونصهم ميخوذ اهمل
اسبعة وخمسين تاريخ المارة *** اخلفو ما اداو الكفرة بالدوبل

ونراه بعد ذلك يستذكر ثورة نوفمبر المجيدة ويذكر المدن الجزائرية التي شهدت مظاهرات وانتفاضات
وثورات ضد الاحتلال الغاشم من كل الجهات، يقول في ذلك:

من فاتح نوفمبر فيه بشارة *** الحرية في اذراير تتاصل
تلمسان وبشارزيد لبسكرة *** من العاصمة لخنشلة لبني جيجل
عنابة وقالة وفوت للمقارة *** قسنطينة واوراس وبلاد قبائل
اوراس وونشريس وجبل جرجرة *** وجبل الديس والحشم وبني هندل
ووهرن شايعة قديمة مشهورة *** وتيارت و آفلو اغواطي ونوايل
وسعيدة والبيض والعين الصفرا *** والمشية شعب الصحرا والساحل
تشوف علامات بالراية الخضرا **** حس الخودات بالزغاريد تولول

ثمَّ يعرض شاعرنا في المقاطع المتبقية من القصيدة ما حدث للمعمرين بعد ما شتتت الثورة التحريرية
شملهم، وما أصابهم من كساد لتجارتههم وعودة الأملاك لأصحابها، وكانوا يظنون أنهم باقون إلى الأبد في
بلادنا بفعل ما كان يقوله سياسيوهم من أمثال شارل دو غول و ميشال ديبري و غيرهما من قادة فرنسا
الاستدمارية، ويعرض كذلك للدول التي وقفت مع فرنسا والدول التي ساندت الجزائر لنيل حريتها
واسترجاع سيادتها على أرضها، وفي ذلك يقول:

بارت الكولون ماعتها بورة *** بارت لملاك والفوارم وزوايل
اندلؤولات عيشتهم مرة *** سمعوا شعبنا اقطعلهم و افصل
غلطهم ديبري وديقول ومورا *** عيّاهم و عيا و طال الحال ومَلْ
طريق الكذبما توصلش قصيرة *** ينجج مول الصبح والكاذب يرذل
اسبانيول و طليان و انجليز *** ولاماريك عاون الجيش المحتل

مجلة: لغة - كلام، المجلد 12/ العدد: 01 - جانفي (2026)

واحنا عاونونا بطلال القاهرة *** والروس وغانا ولاشين وفيصل
 تونس وليبيا وماروك ومصر *** أجملهم جمال والدين انجل
 ويختم قصيدته بالدعاء للجزائر وبيان ما تحتويه من خيرات، والدعاء لنفسه، يقول:
 اجعل ياربي الجزائر حرة *** آتينا بالخير يا ربي عجل
 بلاد شعير وقمح وبلاد التمرة *** وبلاد الخيل والبقر وغنم وابل
 اجعل ياربي دنزبي مغفورة *** الطف بنا يا الله تمهل
 سليمان الناصري اخديم الشعرا *** وخديم اللي ارضي خديمه بلحول

وهذا النص كغيره من النصوص التي قيلت في تلك الفترة، توضح مدى إسهام الشعراء الشعبيين في «الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله والدفاع عن كرامة الوطن وحرية واستقلاله، وقد شكّلت رؤية هؤلاء الشعراء أنصع صورة عن الغزو الثقافي والحضاري الذي تعرّض له الشعب الجزائري» (الباحثين، 2013)

4. خاتمة:

في خاتمة هذه الورقة البحثية توصلنا إلى مجموعة من النتائج يمكن تلخيصها فيما يلي:

- الشعر الشعبي هو فن من الفنون القولية التي انتشرت في كل المناطق من الوطن، وفي كامل الأقطار العربية.
- ساهم الشعر الشعبي مساهمة كبيرة في الحفاظ على الذاكرة الجمعية للمجتمع الجزائري.
- للشعر الشعبي مكانته وأهميته في تسجيل الأحداث التي مرت بها الجزائر عبر التاريخ، وخصوصا المقاومة الشعبية، والثورة المسلحة المباركة.
- ساهم الشعر الشعبي في تنوير المجتمع الجزائري، وكان وسيلة إعلامية تنقل ما يجري من أحداث داخل المجتمع.
- القصيدة المختارة في هذه الورقة تبين معرفة الشاعر بأحداث الثورة التحريرية.
- يتبين لنا من خلال القصيدة إلمام الشاعر بالأخبار السياسية في الجزائر، ومعرفته بالسياسيين الفرنسيين (الرئيس، ورئيس الوزراء).
- للشاعر إلمام بجغرافية الجزائر شرقا وغربا وشمالا وجنوبا.
- للشاعر معرفة بالدول التي ساندت الجزائر ووقفت معها في ثورتها، وكذلك الدول التي دعمت فرنسا في احتلالها لبلادنا خاصة دول الحلف الأطلسي.

مراجع البحث:

- مجموعة م. ا. (2013). موسوعة الأدب الشعبي - شعر الأطلس الصحراوي. الأغواط- الجزائر: مطبعة بن سالم.
- نصار ح. (1980). الشعر الشعبي العربي. لبنان: منشورات اقرأ.
- بورايو ع. ا. (2007). الأدب الشعبي الجزائري. الجزائر: دار القصبة للنشر.
- الركيبي ع. ا. (1981). الشعر الديني الجزائري الحديث. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- سعد الله أ. (2009). تاريخ الجزائر الثقافي. الجزائر: دار عالم المعرفة للنشر والتوزيع.
- العشماوي م. (2021). دراسات في التراث الشعبي والفلكلور. الإسكندرية-مصر: دار المعرفة الجامعية.
- دحو ا. (1986). بعض النماذج الوطنية من الشعر الشعبي الأوراسي خلال الثورة التحريرية. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- دحو ا. مقاربات في الشعر الشعبي في الجزائر. الجزائر: دار موفم للنشر.